الزهـــــري

الرسول وقريش

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر بن راشد] عن الزهري قال: دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سراً وجهراً فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكرين لما يقول فكان إذا مرَّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبدالمطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشنفوا لرسول الله ﷺ عند ذلك وعادوه.

(ابن سعد، الطبقات، ق١ ج١ ص ١٣٣)

[أخبرنا محمد بن عمر، ثنا هشام بن سعد] عن الزهري قال: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدث به ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله ﷺ تفرقوا في الأرض، فقالوا أين نذهب يا رسول الله؟ قال ها هنا وأشار إلى الحبشة، وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين منهم من هاجر معه بأهله ومنهم من هاجر بنفسه حتى قدموا أرض الحبشة.

(ابن سعد، الطبقات، ق١ ج١ ص ١٣٦)

محاولة قريش إرجاع مهاجرة الحبشة

[قال ابن إسحق] حدثني محمد بن مسلم الزهري، (عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ايتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هدية قبل ان تكلما النجاشي فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى إلى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قربا هدايا إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشايرهم لتردهم إليهم... قالت: ولم يكن شيء أبغض

إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن لا يسمع كلامهم النجاشي، قالت فقالت بطارقة حوله: صدقاً أيها الملك قومهم أعلا بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قالت فغضب النجاشي وقال: لا ها الله اذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمورهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني. قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كاين. فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل، قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده لا

نشرك به شيئاً وحرَّمنا ما حرَّم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبايث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك . . . .

(ابن هشام، ط . وستنفلد، ص ٢٩٧-٢٢٠)

أمر الحديبية

[قال ابن إسحق] حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة من عشرة نفر . . . قال الزهري: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي . . فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم، قال فقال رسول الله ﷺ: يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين ساير العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش!؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة. (ابن هشام ٧٤٠-٧٤١) [يستمر ابن إسحق ويذكر نزول الرسول الحديبية، ثم يعود لحديث الزهري]. فقال الزهري

في حديثه: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زايراً للبيت ومعظماً لحرمته ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد إن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زايراً هذا البيت فاتهموهم وجبهوهم وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب. قال الزهري: وكانت خزاعة عيبة رسول الله مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة (ابن هشام ٧٤٢ - ٣)، [ثم يذكر توافد عدة رسل من قريش وإرسال عثمان إلى قريش، ثم يأتي إلى أمر الهدنة].

قال ابن إسحق قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر ابن لؤي إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: إيت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس رسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: ياعمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام

نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني، قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخالفة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً، قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقال اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله: اكتب باسمك اللهم فكتبها، ثم قال: تكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلال ولا أغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد و عهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيها، فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا، نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها. فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما رأوا من الصلح

والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. [ثم يتم قصة أبي جندل]. . فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو مشرك وعلي بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة.

(ابن هشام ص ٧٤٦-٧٤٩)

ويذكر الزهري بعض الآيات المتعلقة بهذا الموضوع [ابن هشام ص ٧٤٩-٧٥٠] وينهي ابن إسحق ما نقله عن الزهري بما يأتي : يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

(ابن هشام ص ٧٥١)

إجلاء أهل خيبر

قال ابن اسحق : وسألت ابن شهاب كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم حين أعطاهم النخل على خرجها، أبَتّ ذلك لهم حتى قبض أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟ فأخبرني ابن شهاب أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله على رسول الله ﷺ خمّسها رسول الله ﷺ وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد

القتال: فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: إن شيت دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله ﷺ يبعث عبدالله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص، فلما توفى الله نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بعد رسول الله ﷺ بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله حتى توفي ثم أقرهم عمر صدراً من إمارته ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت فأرسل إلى يهود فقال: إن الله قد أذن في جلائكم فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم.

(ابن هشام ص ٧٧٩)

سيرة عثمان

[حدثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني محمد بن عبدالله] عن الزهري قال:

لما ولي عثمان عاش اثنتي عشر سنة أميراً، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليه، وإنه لأحب إلى قريش من عمر لشدة عمر ولين عثمان لهم ورفقه بهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر وأهملهم وكتب لمروان بن الحكم بخمس إفريقية وأعطى أقاربه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال مالاً وقال: إن

أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما وإنما آخذه فأصل به ذوي رحمي، فأنكر الناس ذلك عليه.

(أنساب الأشراف ج٥ ص ٢٥)

مسيرة أهل الأمصار إلى عثمان

ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب:

إن المصريين لما قدموا فشكوا عبدالله بن سعد بن أبي سرح سألوا عثمان أن يولي مكانه محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم مرة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال مرة أخرى: أنا غلام مروان وجهني إلى عامل مصر برسالة، قالوا: فمعك كتاب، قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إليّ متظلماً منك إن شاء الله، فلما قرؤوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم نفر ممن كان معه ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا

علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي ﷺ ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام واقرؤوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبي ﷺ بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم وأعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله وكانت عائشة تقرصه كثيراً، ودخل عليٌّ وطلحة والزبير وسعد وعمار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلهم بدري علي عثمان ومع علي الكتاب والغلام والبعير، فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: وأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمت شأنه، فقال له علي: أفالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط، وعرفوا أن الخط خط مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أنه لا يحلف بباطل إلا أن قوماً قالوا: لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان.

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟

فقالوا: لا، قال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت ثم قال: ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء، فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت، وبلغ علياً أن القوم يريدون قتل عثمان فقال: إنما أردنا مروان فأما قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل اليه وبعث الزبير ابنه عبدالله، وبعث طلحة ابنه على كره، وبعث عدة من أصحاب النبي أبناءهم ليمنعوا الناس الدخول على عثمان ويسألوه إخراج مروان؛ فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر، وقد رمى الناس عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي خشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة، وأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد، فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لأنهم كانوا فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمد بن أبي بكر: أنا أبدؤ كما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه. . . »

(أنساب الأشراف ج ٥ ص ٦٧-٦٩)

لعل هذه القطعة تمثل أطول حديث للزهري، وتستمر روايته إلى بيعة علي.

(أنساب الأشراف ج٥ ص ٦٩-٧٠)